في العود الى دمشق فاذن له فلما دخل عمرو بن سعيد دمشق صعد
المنبر فخطب بالناس خطبة قال فيها مات الخليفة ودعا الناس
الى خلعه فاجابوه الى ذلك وبايعوه فاستولى على دمشق وحصن
سورها وحمى عورتها وسد ثغورها وبذل الرغايب فبلغ ذلك
عبد الملك بن مروان وهو متوجه الى عبد الله بن الزبير وبلغه
مع ذلك ان والي حمص قد نزع يده من الطاعة وان اهل الثغور
قد تشوفوا للخلاف فخرج على وزرايه وبيده مخصرة يضرب بها
عطفه فاطلعهم على ما بلغه وقال لهم هذه دمشق دار ملكنا
قد استولى عليها عمرو بن سعيد وهذا عبد الله بن الزبير قد
استولى على الحجاز والعراق واليمن ومصر وخراسان وهذا
النعمان بن بشير امير حمص وزفر بن الحارث امير قنسرين ونابل
بن قيس امير فلسطين قد نزعوا ايديهم من الطاعة وبايعوا
الناس لابن الزبير وقد تشوف اهل الثغور الى الخلاف وهذه المضرية
سيوفها على عاتقها تنظر الينا بفتلا اهل المرج فلما سمع وزراوه ذلك
ذهلت عقولهم وعلموا ان لا مقر ولا مفر فنكسوا روسهم ولم ينطقوا
بشي فقال عبد الملك ما لكم لا تنطقون احضروني لغناكم فهذا
وقت الحاجة اليكم فقال فضلاهم اي غناء عندنا في هذا الوقت
ووددت والله اني كنت حرباء على عود من اشجار تهامه حتى تنقضي
هذه الفتن فقال الكهل لما سمع عبد الملك مقالتهم علم ان
لا غناء عند وزرايه فقام عنهم والزمهم وامرهم بلزوم مواضعهم
وركب من فوره منفردا وامر جماعة كثيفة من شجعان اصحابه
وفرسانهم ان يركبوا في السلاح ويتبعوه متبعدين منه بحيث
اشارته ان يفهموا اشاراته اليهم ففعلوا وسار عبد الملك واتبعه

القوم

القوم على ما رسم لهم فلم يزل سايرا حتى انتهى الى شيخ كبير السن
ضعيف الجسم سيي الحال وهو يجمع السماق فسلم عليه عبد الملك
وانسه بحديث خفيف ثم قال له ايها الشيخ الك علم بمنزل هذا
العسكر فقال الشيخ بلغني انهم نزلوا بموضع كذا او كذا فقال له
عبد الملك هل سمعت شيا مما تقول الناس في امره فقال الشيخ
ما سوالك قال عبد الملك اني اريد الدخول به وفي اصحابه
والتعرض للحظوة عنده قال الشيخ ما معناه اني اراك اديبا في
صبا واحسبك حسيبا فهل تحب ان انصح لك فيما انت فيه قاصده
فقال عبد الملك ما احوجني الى ذلك فقال الشيخ انه ينبغي كذا ان
تصرف نفسك عن هذا الذي ترغب اليه فان الامير الذي انت
قاصده قد انحلت عرا ملكه ونابذه اتباعه واضطربت اموره
وان السلطان في حال اضطرابه كالبحر في حال هيجانه لا ينبغي ان
يقرب فقال عبد الملك ايها الشيخ ان الحنكة لم تبلغ بي مغالبة نفسي
في كل ما ترغب اليه واجدها تنزع الى صحبة هذا الامير نزاعا شديدا
ولا بد لي من ذلك فهل لك ان تحسن الي فتخبرني بما تراه من الراي
لهذا الامير في تدبيره هذه الخطوب التي دهمته لاعرض ذلك
الامر واتقرب به عنده فلعله يكون سببا في قربي منه فقال
الشيخ ان حكمة الله سبحانه وتعالى وعزته ليقضيان بان يحجب العقول
والاراء عن النفوذ في بعض النوازل واني لاظن ان هذه النازلة
التي نزلت به من النوازل التي لا ينفذ فيها العقول ولا يهتدي الى
صوابها الراي واني اكره ان ارد مسالتك بالخيبة فها انا
اقول فيما سالتني عنه قولا اقضي به حق رغبتك وان كنت
لا اثق بنفسي فيه لان الخطب عظيم جدا والخطر فيه يضاهي عظمه

Copyright © King Saud University